IRAQI Academic Scientific Journals
العراقية المجلات الاكاديمية العلمية
ISSN:2073-1159 (Print) E-ISSN: 2663-8800 (Online)
ISLAMIC SCIENCES JOURNAL
Journal Homepage: http://jis.tu.edu.iq
ISJ

The Conjugation of the Two Attributes of the All -Knowing, the Wise, and God Almighty in the Noble Qur'an, in the Qur'anic Stories, and the Battles, An Expressive Study

Dr. Saleh Mohammed Hamid *

Department of Fundamentals of Religion, Imam Al-Azam College - Diyala - Iraq .

KEY WORDS:

Conjugation, my attribute, the wise knower, the stories, the magical .

ARTICLE HISTORY:
Received: 20 / 10 /2020
Accepted: 2 / 11 / 2020
Available online: 17 /2 /2021

ABSTRACT

The conjunction of the two attributes (the All-Knowing, the Wise) in the Qur'anic stories and the battles is one of the aesthetics of the Qur'an expression. The Holy Qur'an reached the culmination in putting words in the position, they deserve Concerning their expression and their relevance to the general context, Thus we see each expression is consistent with other expressions. As it is a single encaustic which I have tasted in this research so, Concuding the nobel verses by the two attributes (the All-Knowing, the Wise), and the presenting one of them before the other, all of this taking into account the context of speech, and the general consistency of expression in the fullest and most beautiful way.

ISLAMIC SCIENCES JOURNAL (ISJ ISLAMIC SCIENCES JOURNAL (ISJ)

* *Corresponding author: E-mail*: Saleh1983983@gmail.com

اقتران صفتي العليم الحكيم المتعلقة بالله تعالى في القرآن الكريم، في القصص القرآنية، والمغازي، دراسة تعبيرية

م. د. صالح محمد حميد

قسم أصول الدين، كلية الإمام الأعظم– ديالى – العراق

الخلاصة:

إنّ اقتران صفتي (العليم الحكيم)، في القصص القرآنية والمغازي، فيها من جماليات التعبير القرآني، الشيء الكثير، فقد بلغ القرآن الكريم الذروة في وضع الكلمات في الموضع الذي تستحقه في التعبير مع تناسبها مع السياق العام، فنرى التعبير متناسقاً متسقاً مع غيره من التعبيرات ، كأنه لوحة فنية واحدة ، وهو ما تذوقته في بحثي هذا، فختم الآيات الشريفة، بصفتي (العليم الحكيم)، وتقديم إحداهما على الأخرى، كل ذلك مراعى فيه سياق الكلام، والاتساق العام في التعبير على أكمل وجه وأبهى صورة .

الكلمات الدالة: اقتران، صفتي ، العليم الحكيم ، القصص ، المغازي.

المقدمة

الحمد لله الحكيم العليم، ذي الفضل العميم والجود القديم، الذي ابتدأ الإنسان بالنعم فُرادى ومثنى، وخلقه في أحسن تقويم، وخصه بمزية التشريف والتكريم، والصلاة والسلام على معلمِ البشرية، وهادي الإنسانية، ومزعزعِ كيان الجاهلية، الذي بُعِثَ مُعَلِّماً للنّاسِ وهادياً وبشيراً، وداعياً إلى اللهِ بإذنه وسراجاً منيرا؛ فأَخرجَ النَّاس من ظُلمات الجَهْل والغوَايَة، إلى نورِ العلم والهِدَايَة.

أمّا بعد:

فإنّ من أجلِّ العلوم الشرعية، وأشرفها وأعلاها العلم بأسماء الله (عز وجل) وصفاته العظمى، ولا سعادة للعبد ولا صلاح له إلا إذا عرف ربه. قال عبد الله بن مسعود: (كفى بخشية الله علماً، وكفى بالاغترار بالله جهلاً)[١]، فمن كان عالماً باللَّهِ اشتدت خشيته له؛ وفي معرفة أسماء الله (عز وجل) وصفاته، ثمرات طيبة في الشدائد والمصائب والمحن؛ ألم تسمع نبي الله يعقوب عندما اشتد عليه الحال وفقد أبنائه الثلاث بماذا دعا ربه[٢]، قال: { عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}[٣]؛ فإذا علِم العبد أن ربه(عليم حكيم)، وعلِم أن المكروهات التي تصيبه والمحن التي تنزل به فيها ضروب من المصالح والمنافع التي لا يبلغها علمه ؛ لكنّها هي مقتضى علم الله تعالى وحكمته سوف يطمئن قلبه ويسكن إلى ربه، ويفوض أمره إليه[٤].

ومن هنا فقد وقع اختياري على موضوع: (اقتران صفتي العليم والحكيم المتعلقة بالله تعالى في القصص والمغازي في القرآن الكريم ، دراسة تعبيرية) لعلاقته بما تقدم من الأهمية، وحصرت موضوعي في القصص والمغازي فقط؛ لكثرة الآيات الخاصة بموضوعي، فعدد الآيات التي اقترن فيها صفتي (العليم الحكيم) في القرآن الكريم، سبعة وثلاثين موضعًا. واخترت الدراسة التعبيرية؛ لما لها من أثر في إبراز جمالية النظم القرآني ومن إظهار الدقة في اختيار اللفظة، بحيث يُحسب لكل كلمة فيه حسابها، بل

---

(١) – الزهد والرقائق : عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي (ت: ١٨١هـ)،(ص:١٥)، والزهد: للإمام أحمد بن حنبل الشيباني (ت: ٢٤١هـ)،(ص:٥٨).

(٢) – ينظر: ولله الأسماء الحسنى(٣٠٣).

(٣) – سورة يونس/ الآية ٨٣.

(٤) – لذلك يجب علينا جميعاً ونحن نمر بهذا الوقت العصيب من انتشار الأمراض والأسقام، وكثرت البلاء، أن ندعوا الله سبحانه وتعالى بصفتي{الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ }، اسوة بأنبياء الله الصالحين؛ لعل الله أن يفرج عنا ما نحن فيه .

لكل حرف، بل لكلِّ حركة. فالتعبير القرآني له ميزته في علوه وسموه ؛ فإنّه بهر العرب فلم يستطيعوا الإتيان بحديثٍ من مثله.

وقد جاء البحث على تمهيد ومبحثين وخاتمة.

أمّا التمهيد فقد ذكرت فيه: إحصائيات عن صفتي (العليم الحكيم) في القصص والمغازي القرآن الكريم، ومفهوم العلم والحكمة، في اللغة، وفي حق الله (سبحانه وتعالى).

وأمّا المبحث الأول فقد خصّ: اقتران صفتي العلم والحكمة المتعلقة بالله تعالى في قصص الأنبياء، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأوّل: قصة نبي الله آدم (عليه السلام).

المطلب الثاني: قصة نبي الله إبراهيم (عليه السلام).

المطلب الثالث: قصة نبي الله يوسف (عليه السلام)

وفي المبحث الثاني: ذكرت اقتران صفتي العلم والحكمة المتعلقة بالله تعالى في المغازي، وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول: استعمال أسلوب التهييج والإثارة للجهاد، وعدم الوهن.

المطلب الثاني: تحريم دخول المسجد الحرام على المشركين.

المطلب الثالث: تحذير الأسرى من الخيانة.

المطلب الرابع: إنزال الطمأنينة على المؤمنين يوم الحديبية.

وختمت بذكر أهم ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات في هذا البحث.

التمهيد، وفيه:

إحصائيات عن صفتي (العليم الحكيم) في القرآن الكريم، ومفهوم العلم والحكمة .

أولاً: إحصائيات عن صفتي (العليم الحكيم) في القرآن الكريم.

ورد اسم الله (العليم) مفرداً في القرآن الكريم في مئة وسبعة وخمسين موضعاً، وورد اسم الله (الحكيم) مفردا في واحد وتسعين موضعاً، واقترن اسمه سبحانه (الحكيم) باسمه سبحانه (العليم) في القرآن الكريم في سبعة وثلاثين موضعًا، وقد تقدم(العليم الحكيم) أولاً في تسعٍ وعشرين مرة، وأتى (الحكيم العليم) أولاً سبع مرات، وذلك وفق مقتضى سياق الآية، يتقدم العلم على الحكم، أو الحكمة على العلم، والمتدبر للآيات القرآنية وسياقتها لا تخفى عليه هذه المناسبة، فمن هذه الأسباب مثلاً: أنّ الآيات التي يتقدم فيها اسم (العليم) على اسم (الحكيم) منوطة بالعلم أولاً ثم بالحكمة ؛ ففي مقام الاعتراف بالعجز وقصور العلم يقابله –ولابد– الإقرار والتسليم للعليم .

أمّا تقدم اسم (الحكيم) على اسمه (العليم) ، فيلاحظ أنّه منوط بمقامين : التوحيد وإجراء المعجزات، وذلك أن مضمون الألوهية في مقام التوحيد قهر وقوة وغلبة، يقابلها من العباد طاعة وعبادة وخضوع، فتقديم الحكمة في هذا المقام والله أعلم ليعلم أن ألوهيته (عز وجل) السارية على مَن في السماوات والأرض مسارها الحكمة[١].

ثانياً: مفهوم العلم والحكمة .

العلم لغة: وهو نقيض الجهل، تقول: عَلِمَ عِلْما، وعَلُمَ هُوَ نَفسه، وَرجل عالمٌ وعلِيمٌ من قوم عُلَماء فيهمَا جَمِيعًا[٢]. وقال ابن جني:(لما كان العلم قد يكون الوصف به بعد المزاولة له، وطول الملابسة صار كأنّه غريزة، ولم يكن على أول دخوله فيه، ولو كان كذلك لكان متعلماً لا عالماً)[٣].

والعلم: هو اليقين يقال عَلِمَ يَعلَمُ إذا تيقن، وجاء بمعنى المعرفة أيضاً كما جاء كل واحد بمعنى الآخر؛ لاشتراكهما في كون كلّ واحد مسبوقاً بالجهل ؛ لأنّ العلم وإن حصل عن كسب فذلك الكسب مسبوق بالجهل[٤] .

وقال الراغب في المفردات: (العلم: إدراك الشيء بحقيقته)[٥].

وأمّا العلم في حق الله وتعالى: فهو من أسماءه الحسنى (جل جلاله) التي عَرَّفَ نفسه بها، ومعناه: إنّ الله عليم من غير تعليم بجميع ما قد كان وما هو كائن، والعالِم للغيوب دون جميع خلقه[٦].

وقال صاحب اللسان: (فهو الله العالم بما كان وما يكون قبل كونه، وبما يكون ولما يكن بعد قبل أن يكون، لم يزل عالماً ولا يزال عالماً بما كان وما يكون، ولا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء سبحانه وتعالى، أحاط علمه بجميع الأشياء باطنها وظاهرها دقيقها وجليلها على أتم الإمكان)[٧].

---

(١) – ينظر: ولله الأسماء الحسنى : عبد العزيز بن ناصر الجليل(ص:٣٠٢– ٣٠٤)، وكلمات في ما اقترن من الأسماء الحسنى في كتاب الله: أ. د. أمير الحداد(ص:٣٩).

(٢) – ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: لابن سيده(ت: ٤٥٨هـ)، مادة(علم)، (١٧٤/٢).

(٣) – لسان العرب: : ابن منظور الأنصاري (ت: ٧١١هـ)، مادة(علم)،(٤١٧/١٢)، وتاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الزَّبيدي(ت: ١٢٠٥هـ)، مادة(علم)،(١٢٨/٣٣).

(٤) – ينظر: المصباح المنير: أحمد بن محمد الفيومي(ت:٧٧٠هـ)، مادة(علم)،(٤٢٧/٢).

(٥) المفردات في غريب القرآن: للراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، مادة(علم)، (ص:٨٥).

(٦) – ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير الطبري(ت٣١٠هـ)، (١٧٥/١).

(٧) – لسان العرب، مادة(علم)،(١٢/ ٤١٦).

الحكمة لغة: هي المنع. تقول حكمت الدابة وأحكمتها: أي منعتها، ويقال: حكمت السفيه، إذا أخذت على يديه، ومنه اشتقاق الحكمة ؛ لأنّها تمنع صاحبها من أخلاق الأرذال[١]. قال الخليل: (الحكمة: مرجعها إلى العدل والعلم والحلم. ويقال: أحْكَمَتْه التجارب إذا كان حكيماً)[٢]. والحُكْمُ: مصدر قولك حَكَمَ بينهم يَحْكُمُ أي قضى. والحُكْمُ أيضاً: الحِكمَة من العلم. والحَكيمُ: العالم صاحب الحكمة. والحكيم: المتقن للأمور. وقد حَكُم بضم الكاف، أي صار حكيماً[٣].

وأما الحكمة في حق الله سبحانه وتعالى: فهي من أسماء الله الحسنى (جل جلاله) التي عرّف نفسه بها، ومعناها: الذي لا يقول ولا يفعل إلّا الصواب، وإنّما ينبغي أن يوصف بذلك؛ لأنّ أفعاله سديدة، وصنعه متقن ، ولا يظهر الفعل المُتقن السديد إلّا من حكيم[٤] .

المبحث الأول: اقتران صفتي (العليم الحكيم) المتعلقة بالله تعالى في قصص الأنبياء.

المطلب الأوّل: قصة نبي الله آدم (عليه السلام)

فالقصص ترد في القرآن في مواضع عديدة ومناسبات كثيرة، وهذه المناسبات التي تساق القصص القرآنية لها، هي التي تحدد سياق القصة، والحلقة التي تعرض منها، والطريقة التي تأتي عليه؛ وبذلك تؤدي دورها الموضوعي، وتحقق غايتها ، وتلقي إيقاعها[٥].

ولو تأملنا سورة البقرة لوجدنا صورة جميلة من هذه الصور وهي تحكي قصة نبي الله آدم (عليه السلام) مع الملائكة، وكيف أنّ الله سبحانه وتعالى قد فضّله بالعلم، قال تعالى:﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾[٦] ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات الكريمة قصة أبونا آدم (عليه السلام)، وكلامَ الله مع الملائكة عندما أخبرهم بأنّه سوف يجعل في الأرض خليفة، وهو آدم (عليه السلام)، فلمّا خلق الله آدم وعلمه أسماء كلّ شيء، وعجزت الملائكة عن معرفتها، وأنبأهم

---

(١) – ينظر: مقاييس اللغة: أحمد بن فارس (ت: ٣٩٥هـ)، مادة: (حكم)،(٩١/٢).

(٢) – كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت: ١٧٠هـ)، مادة(حكم)،(٦٦/٣).

(٣) – ينظر الصحاح: إسماعيل بن حماد الجوهري(ت: ٣٩٣هـ)، مادة(حكم)،(١٩٠١/٥).

(٤) – ينظر: الأسماء والصفات للبيهقي: أحمد بن الحسين بن علي البيهقي(ت: ٤٥٨هـ)،(٦٦/١).

(٥) – في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ات: ١٣٨٥هـ)،(٢١٠/١).

(٦) – سورة البقرة/ الآيات ٣١، ٣٢.

آدم(عليه السلام) بها:﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1]، فاعترفوا لله بسعة علمه، وكمال حكمته، وأنّهم قد أخطأوا في مراجعتهم ربهم عندما استخلف آدم في الأرض التي هيّأت لنزوله[2]، وفي هذا الجواب منهم إيذان بأنّهم رجعوا إلى ما كان يجب عليهم ألا يغفلوا عن مثله، من التفويض لواسع علم الله وعظيم حكمته، وأنّه لا علم لهم إلّا من عنده سبحانه وتعالى[3].

يقول الشنقيطي في ذلك:(وقولُه: {لَا عِلْمَ لَنَآ } النكرةُ فيه مَبْنِيَّةٌ مع (لا) والنكرةُ لاَ تُبْنَى على الفتحِ مع (لا) إلا التي هي لنفيِ الجنسِ. فمعنَى الآيةِ: أنهم نفوا جنس العلم من أصله عن أنفسِهم إلّا شيئًا علَّمهُم اللَّه إيَّاه)[4].

وأمّا اللمسة البيانية هنا من ختم الآية الشريفة بصفتي(العليم الحكيم) فهي: أنّ في مقام الاعتراف بالقصور والعجز وقلة العلم يقابله؛ ولابد الإقرار والتسليم للـ(العليم)، فإذا كان{ العليم } هو{ الحكيم } فذلك هو العلم البالغ حد الكمال فيكون الاعتراف مصحوبًا بغاية التسليم والرضا[5].

وقدم سبحانه وتعالى الوصف بالعلم، بقوله: {ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ } على الوصف بالحكمة ؛ لأنّ المقامات التي يتقدّم فيها اسم (العليم) على اسم (الحكيم) منوطة بالعلم أولاً، ثم بالحكمة؛ ولمناسبة ما تقدم من قوله (أَنْبِئُونِي)، و(لَا عِلْمَ لَنا)؛ فإنّ صلتها بلفظ (العليم)؛ ولأنّ مبنى الأحكام إنّما يكون مبنياً على إحاطة العلم ثم الحكمة فهي تأتي بعده، فالحكمة: هي منتهى العلم، فلا حكمة بلا علم، والعلم مبدأ الحكمة، ولا يتمُّ أحدهما إلّا بالآخر، فلهذا جمع بينهما[6].

وناسب أن تكون خاتمة هذه الآيات الكريمة، بصفتي {الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}؛ لأنّهما هما الدالتين على علم الله بآدم وما خُلق له وما خُلق عليه، وتمام حكمته في خلقه، وما يترتب على ذلك من المصالح المتنوعة، فخصُّوا الله سبحانه وتعالى بما نفَوه عن أنفسهم فقالوا: {إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}، فجاءوا، بتوكيد وتخليص وإخلاص للعلم والحكمة؛ وإنه

---

(١) – سورة البقرة/ الآية ٣٢.

(٢) – ينظر: القواعد الحسان لتفسير القرآن: عبد الرحمن السعدي(ت: ١٣٧٦هـ)، ص(٥٤).

(٣) – ينظر: تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي(ت: ١٣٧١هـ)،(٨٤/١).

(٤) – العذب النَّمير من مجالس الشَّنقيطِيّ في التَّفْسير: محمد ا الشنقيطي(ت: ١٣٩٣هـ)،(٣٨٧/١).

(٥) – ينظر: ولله الأسماء الحسنى:(ص:٣٠٣).

(٦) – ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: محمود بن عبد الله الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)،(٢٢٩/١)، وتفسير المراغي(٨٤/١)، ولله الأسماء الحسنى(ص:٣٠٣).

لله وحده ، وذلك من أرفع عبارات التسليم، ومجيء ضمير الفصل (أَنتَ) وتوسيطه من صيغ القصر، فالمعنى قصر العلم والحكمة على الله سبحانه وتعالى[١].

المطلب الثاني: قصة نبي الله إبراهيم (عليه السلام) .

ذُكرت قصة نبي الله إبراهيم (عليه السلام) في القرآن الكريم في سور كثيرة، وقد جاءت هذه الآيات هنا في سورة الذاريات في سياق الكلام عن الموقف الذي كان بين نبي الله إبراهيم (عليه السلام)، وضيوفه وامرأته، ولم تذكر هذه الآيات الكريمة منه، إلّا الأحداث البارزة فيه، وقد ذكر هذا الموقف في مواضع أخرى من القرآن، وفي كلّ موضع منها يكشف عن جانب من جوانب هذه القصة ، مسلّطا الضوء على مقطع منها، فإذا نظر القارئ إلى أي موضع ورد فيه ذكر هذا الموقف في القرآن، كأنّه وجد الحديث كاملاً، فإذا ضممْتَ هذه المواضع بعضها مع بعض رأيت صورة مكبرة وواضحة لهذا للحدث، قال تعالى:﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾[٢] .

تتحدث هذه الآيات الشريفة عن قصة إبراهيم (عليه السّلام) مع ضيوفه من الملائكة، الذين جاؤوه بصورة بني آدم، في طريقهم إلى قوم لوط (عليه السّلام)، فدخلوا على إبراهيم (عليه السّلام)، وسلموا عليه فأجابهم بأحسن من تحيتهم. وذهب خفية من ضيوفه، في سرعة، فقدم إليهم عجلاً سميناً مشوياً، فقال بعد دعوتهم للأكل بتلطف: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ فلما أعرضوا عن الأكل؛ لأن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون، أحسّ في نفسه خوفاً منهم، فظنَّ إبراهيم (عليه السّلام) أنهم جاؤوا للشر، فقالوا له: نحن رسل من الله تعالى، وبشروه بغلام يولد له: وهو إسحاق (عليه السّلام) ، فأقبلت امرأته سارّة، لما سمعت بشارتهم، صارخة، وضربت وجهها، وقالت: كيف ألد، وأنّا كبيرة في السن، وعقيم لا تلد. قالت الملائكة: مثلما قلنا لك قال ربك، فلا تعجبي من ذلك، ولا تشكّي فيه؛ لأنّ الله على كل شيء قدير، وهو الحكيم في أقواله وأفعاله، العليم بما تستحقونه من الكرامة[٣].

---

(١) – ينظر: تراث أبي الحسن في التفسير: أَبو الحسن عليُّ بن أحمد الأَندلسيُّ(ت: ٦٣٨هـ)، (١٩١/١)، والتحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد عاشور(ت: ١٣٩٣ه)، (٤١٦/١).

(٢) – سورة الذاريات/ الآيات ٢٨ – ٣٠.

(٣) – ينظر: الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، (٤٦/١٧)، وتفسير ابن عرفة: محمد بن محمد ابن عرفة(ت: ٨٠٣ه)،(٦٩/٤) .

ونذكر اللمسة التعبيرية الجميلة للقرآن هنا من خلال بيان سبب اختلاف تذييل الآيتين، في سورة الذاريات وسورة هود. حيث قال هنا: {ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ} وفي سورة هود قال: ﴿حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾[1]: وذلك؛ لأنّ الحكاية هناك أبسط فإنّهم في سورة هود نبهوها إلى القيام بشكر نعم الله، فناسب قولهم: {حَمِيدٌ مَجِيدٌ}؛ ولأنّ الحميد: هو الذي يستحق الحمد والشكر لصدور الأفعال الحسنة منه، والمجيد: الممجد الذي يستحق الحمد بنفسه وبمجده. وأمّا هنا فأرادوا التنبيه إلى الحكمة العامة وهي الولادة بعد العقم وفي الكبر، وهي الدلالة الكبيرة على حكمته وعلمه، فهو حكيم في فعله يضع الأمور في مكانها، عليم بشؤون مخلوقاته [2] .

وفي قوله تعالى:﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ لمسة بيانية جميلة أخرى وهي: أنّ هذه الجملة تعتبر تعليلية؛ لجملة قوله تعالى: {كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ} اي أنّ الملائكة ما أخبروا إبراهيم؛ إلا تبليغاً من الله ، وأنّ الله صادق الوعد؛ وأنّه لا يوجد مبرر لتعجب امرأة إبراهيم؛ لأنّ الله حكيم يدبر ما يريده، وعليم لا يخفى عليه حالها من العجز والعقم[3].

وتقديم (الحكيم) في هذا المقام على (العليم)، على الرغم من أنّ غالب الآيات يتقدم فيها العلم على الحكمة؛ وذلك ليُعلم أن ألوهيته (عز وجل) السارية على مَن في السماوات والأرض مسارها الحكمة، وعلى هذا الاساس تُنَزّل الأشياء منازلها، وتوضع الأمور في مواضعها التي بها تستقيم الأمور؛ لذلك فإنّ مقام إجراء المعجزات راجع إلى القوة الغالبة، والمشيئة المطلقة، واقتران القوة بالحكمة هو ضمان انتظام الأمور؛ فالحكمة هنا لها الصدارة، يليها العلم الذي على أساسه يكون إجراء الأمور على ما قُدّر لها، أو تعطيلها لحكمة تعود لعلم { العليم }[4].

وبعد هذه السورة المباركة ننتقل إلى سورة أخرى تتحدث عن قصة نبي الله إبراهيم (عليه السلام) مع قومه، ونلتمس ما فيها من أسرار التعبير القرآني ، لاقتران صفتي العلم والحكمة؛ ألا وهي سورة الأنعام في قوله تعالى:﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ [5]. والمعنى : تلك الحجة الدامغة القوية

---

(١) – بقوله تعالى﴿ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ﴾ هود/ ٧٣.

(٢) – ينظر: مفاتيح الغيب: لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي(ت: ٦٠٦هـ)،(١٧٨/٢٨).

(٣) – ينظر: التحرير والتنوير(٣٦١/٢٦).

(٤) – ينظر: ولله الأسماء الحسنى :ص(٣٠٥).

(٥) – الأنعام/ الأنعام ٨٣.

التي تضمنتها الآيات السابقة، المثبتة للحق، والمزيّفة للباطل، هي الحجة التي أعطيناها لإبراهيم ليقيمها على قومه ويقنعهم بها، فنرفع من نشاء من عبادنا درجات ، فالعلم والحجة درجة كمال، والحكمة والفهم درجة كمال، وقوة المعارضة في الحجاج درجة كمال، والنبوة والرسالة أعلى كل هذه الدرجات، لأنها تشتمل عليها جميعا وتزيد [١].

وقوله تعالى بعد هذا: (إن ربك حكيم عليم) فهذا تذييل مقرِّر لمضمون ما قبله مبيِّن لمتعلقه ومنشئه من صفات الله تعالى، وقد وضع فيه اسم الرب مضافاً إلى ضمير الرسول، موضع العظمة على طريق الالتفات[٢]، فانتقل من الكلام عن نبي الله إبراهيم(عليه السلام) بصيغة الغائب، إلى الكلام مع النبي(ﷺ) بصيغة المخاطب، بقوله تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} تذكيراً منه سبحانه وتعالى لخاتم رسله (ﷺ) بفضله عليه، وتفضيله إياه على غيره من الرسل، وذلك برفعه درجات على جميع الرسل، فإنّ الله (عز وجل) يقول للنبي(ﷺ) إن ربك الذي ربّاك وآواك، وهداك وعلمك ، ورفعك واكرمك، وجعلك خاتم رسله لجميع خلقه، حكيم في فعله[٣].

أما اللمسة البيانية الأخرى هنا فهي في قوله تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ } فالجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً؛ لأن قوله: {نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ} يثير تساؤلاً، يقول: لماذا يرفع بعض الناس دون البعض الآخر؛ والجواب هو أنّ الله يعلم مستحق ذلك ومقدار استحقاقه ويخلق ذلك على حسب تعلق علمه. فحكيم بمعنى محكم، أي متقن للخلق والتقدير. وقدم {حَكِيمٌ } هنا على{ عَلِيمٌ}؛ لأنّ هذا التفضيل مُظهِر للحكمة، ثمّ عقب بـ{ عَلِيمٌ} ليبين على أن ذلك الإحكام جار وفق العلم[٤].

المطلب الثالث: قصة نبي الله يوسف (عليه السلام)

سورة يوسف؛ إنّما سُميت بهذا الاسم ؛ لأنّها أوردت قصة نبي الله يوسف(عليه السلام) كلها في هذه السورة، ولم تذكر قصته في سورة غيرها؛ ولم يُذكر اسم يوسف في

---

(١) – ينظر: تفسير المراغي(١٩٧/٧).

(٢) – الالتفات: وهو الانتقال من كل من التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى صاحبه، لمقتضيات ومناسبات تظهر بالتأمل في مواقع الالتفات، تفنناً في الحديث، وتلويناً للخطاب، حتى لا يمل السّامع من التزام حالة واحدة. ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: أحمد بن إبراهيم الهاشمي(ت: ١٣٦٢هـ)،(ص:٢١٢).

(٣) – ينظر: تفسير المنار(٤٨٦/٧

(٤) – ينظر: التحرير والتنوير(٣٦٣/٧).

غيرها؛ إلا في سورة الأنعام وغافر، ولم تذكر قصة نبي أو رسول في القرآن بمثل ما ذكرت قصة نبي الله يوسف (عليه السلام) في هذه السورة من الإطناب[١].

وقد وردت صفتا(عَلِيمٌ حَكِيمٌ) مقترنة في هذه السورة في ثلاثة مواضع، **في الأول:**

بقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾ [٢]. حيث ابتدأت هذه الآية الكريمة بحرف العطف (وَ)؛ لتبين على أنّ هذه الآية مرتبطة، بما قبلها من التحذير من قص الرؤيا على اخوة يوسف (عليه السلام)، وإعلاماً له بعلو قدره، ومستقبل كماله؛ كي يزيد تملياً من رفعة الأخلاق؛ فيتسع صدره بعد ذلك؛ لاحتمال الأذى من إخوته؛ وصفحاً عن غيرتهم منه وحسدهم إياه؛ ليتمحض تحذيره للصلاح، وتنتفي عنه مفسدة البغضاء ونحوها، وهذه حكمة نبوية عظيمة وطباً روحانياً ناجعاً من والده (عليه السلام)، وإتمام النعمة عليه من الله بعد ذلك بإعطائه أفضل النعم وهي نعمة النبوة والرسالة[٣].

واللمسة البيانية من ذكر صفة(العليم)، بقوله تعالى في ختام الآية: {إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾[٤]، أي أنا أعلم أين أضع رسالاتي، ومن هو أهل لها، فليس لكم أيها المعترضون أن تتخيَّروا ذلك، لأن تخيُّر الرسول إلى المرسِلِ دون المرسَل إليه[٥].

وختامه: بـ(حكيم) إشارة إلى أن الله سبحانه وتعالى مقدس عن السفه والعبث، لا يضع النبوة إلا في نفس قدسية وجوهرة علوية مشرقة، أي: (إن ربك عليم) بمصالح خلقه؛ لأنّه خلقها لقبول ذلك فعلمه بها سابق، (حكيم) في أفعاله؛ فهو المُقدِّر لكل أمر بحيث يكون مُوافِقاً للصواب [٦] .

---

(١) – ينظر: التحرير والتنوير(١٩٧/١٢).

(٢) – سورة يوسف/ الآية٦.

(٣) – التحرير والتنوير(٢١٥/١٢).

(٤) – سورة الأنعام/ من الآية ١٢٤ .

(٥) – ينظر: جامع البيان، للطبري (٩٦/١٢).

(٦) – ينظر: مفاتيح الغيب(٤٢١/١٨)، ونظم الدرر(١٢/٤)، وفتح البيان (٦/ ٢٩١).

وفي الموضع الثاني بقوله تعالى:﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ ﴾[1] أي واسأل أهل القرية التي كنا نمتار فيها ونتبضع منها وهي مصر، فقد اشتهر فيهم أمر هذه السرقة حتى لو سئلوا أي شخص لشهد بها، لكن يعقوب (عليه السلام) لم يصدق بهم؛ وشكك بقولهم؛ وأنّ الذي حمله على الشك في صدق ما أثبتوه؛ لأنفسهم من البراءة، هو ماضيهم معه، فإنهم قد سبق لهم أن فجعوه في يوسف بعد أن عاهدوه على المحافظة عليه؛ ولكن نبي الله يعقوب (عليه السلام) كانت لديه قوة أمل في رحمة الله الكبيرة التي وسعت كل شيء، وفي رجائه الذي لا يخيب به أحد، في أنّ الله سوف يجمع شمله بأبنائه جميعاً فقال: (عليه السلام)،{عَسَى اللَّـهُ أَنْ يَـأْتِيَنِي بِهِـمْ جَمِيعـاً} أي: أن يجمعني بأولادي (يوسف وبنيامين وروبيل) الأخ الثالث الذي بقى بمصر وقال لأخوته:{ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي}[2]، وقد كان لدى يعقوب (عليه السلام) إلهام بأن يوسف لم يمت وإن غاب عنه خبره[3]. وختم الآية الكريمة بقوله تعالى:﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ فالله سبحانه يعلم أين هم؛ فلا تخفى عليه مواقعهم المتفرقة؛ لأنّه العليم بكل شيء، وهو سبحانه (حكيم) فهو قادر على إيجاد أسباب جمعهم بعد التفرق[4].

وهنا لمسة جميلة يجب علينا أن نستفيد منها ألا وهي: إنّ في مقام الصبر وانتظار الفرج، يُنظر إلى اسم { العليم }، فله ارتباط قوي؛ وذلك لأنّ العبد إذا كان قوي الإيمان، عميق الصلة بربه، منتظراً منه الفرج ولم يتزعزع صبره ويقينه، فذلك يدل على أنّه معتمد على علم الله { العليم }، فهو الذي يختار الزمان الأنسب للفرج، فهو المُعّوَل على حكمته في تهيئة الأسباب له ليقع على أحسن ما يكون، فإن اليقين بعلم الله تعالى للأمور؛ يثمر في قلب العبد طمأنينة إزاء ما يقضيه الله تعالى من الأحكام القدرية كالمصائب، والمكروهات التي لم تحدث إلا بعلم الله تعالى وحكمته وأنّها ليست عبثًا ولعبًا؛ ولذا نجد الأنبياء (عليهم السلام) يذكرون اسم (العليم) مع اسمه (الحكيم) كعزاء

---

(١) – سورة يوسف/ الآيات ٨٢، ٨٣.

(٢) – سورة يوسف/ من الآية ٨٠.

(٣) – ينظر: مفاتيح الغيب(١٨/١٩٥، ٤٩٦)، والسراج المنير: محمد بن أحمد الخطيب الشربيني(ت: ٩٧٧هـ) (٢/ ١٣٠)، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي (شيخ الأزهر)،(٧/٣٩٤)،

(٤) – ينظر: التحرير والتنوير(١٣/ ٤١)، وتفسير الشعراوي:(١١/ ٧٠٤٦).

لهم في ما يواجههم من مصائب وآلام، فهذا يعقوب(عليه السلام) يقول عند فقد أبنائه الثلاثة: { عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ }[1]؛ لذلك يجب علينا جميعاً ونحن نمر بهذا الوقت العصيب من انتشار الأمراض والأسقام، وكثرت البلاء، أن ندعوا الله سبحانه وتعالى بصفتي{الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ }، اسوة بأنبياء الله الصالحين؛ لعل الله أن يفرج عنا ما نحن فيه .

وفي الموضع الثالث بقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [2]

إنّ المتأمل لقصة سيدنا يوسف (عليه السلام) وما ناله من العز والملك؛ إنّما تحقق بالذل، والتواضع والتحدث بنعم الله وفضله، وكمال الغنى في النهاية لا يأتي إلا بعد كمال الفقر والعوز في البداية، وكمال العلم لا يأتي إلّا بعد إظهار كمال الجهل، وكمال القوة لا يأتي إلا بعد كمال الوهن، وهكذا جعل الله (سبحانه تعالى) بحكمته الأشياء كامنة في أضدادها. فالاجتباء يكون بعد الابتلاء، وإتمام النعم يكون بعد نقصانها، وذلك لتكون أشهى وأحلى، فيعرف قدرها ويتحقق منه شكرها، وهذا السر في تقديم أهوال يوم الحساب على دخول الجنة للمؤمن؛ ليقع نعيمها في النفس كل موقع[3].

فحين قال يوسف (عليه السلام) لإخوته ﴿ وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[4] أخبر هنا أنّهم رحلوا من بلاد كنعان قاصدين بلاد مصر، فلمّا علم يوسف بقرب مجيئهم خرج إلى لقائهم، وأمر الملك الأمراء وأكابر الدولة بالخروج معه للقاء نبي الله يعقوب (عليه السلام). { وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ } أي: على سرير الملك، ومجلس العزيز، {وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا } أي: أبوه، وأمه وإخوته، سجودا على وجه التعظيم والتبجيل والإكرام، وقال لمّا رأى هذه الحال، ورأى سجودهم له: {يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ} حين رأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر له ساجدين، فهذا وقوعها الذي آلت إليه ووصلت[5]. ثمّ قال: {إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ} والمعنى أن حصول الاجتماع بين يوسف وبين أبيه وإخوته مع الألفة

(١) – ينظر: ولله الأسماء الحسنى(٣٠٣).

(٢) – سورة يوسف/ الآيات ٩٩، ١٠٠ .

(٣) – ينظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أحمد بن عجيبة (ت: ١٢٢٤هـ)،(٢/ ٥٧٤)

(٤) – سورة يوسف/ من الآية ٩٣.

(٥) – ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان(١/٤٠٥).

والمحبة وطيب العيش وفراغ البال كان في غاية البعد عن العقول؛ إلا أنّه تعالى لطيف فإذا أراد حصول شيء سهل أسبابه فحصل وإن كان في غاية البعد عن الحصول[١].

أمّا ختم هذه الآيات الكريمة بصفتي {الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}، وما فيهما من بيان، فهو أنّ كونه لطيفاً في أفعاله إنّما كان لأجل أنّه (العليم) أي بليغ العلم للدقائق والجلائل، و(الحكيم) أي البليغ الإتقان لما يصنعه، الذي يفعل الأمور على وجه الحكمة والمصلحة، طبقاً لما ختم به نبي الله يعقوب (عليه السلام) بشراه[٢].

وقول يوسف (عليه السلام) هنا:﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾كأنّه ذات التعبير الذي قاله يعقوب وهو يقص عليه رؤياه في مطلع القصة، بقوله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[٣]؛ ليتوافق البدء والختام حتى في العبارات، فيا لها من مناسبة جميلة [٤].

المبحث الثاني: اقتران صفتي (العليم والحكيم) المتعلقة بالله تعالى في المغازي.

المطلب الأول: الحث على الجهاد، وعدم الوهن.

فالحق سبحانه وتعالى حرض عباده على قتال هؤلاء المشركين تحريضاً نافذاً مثيراً، يذيب القلوب الجامدة الخائفة، ويدفع الهمم الخامدة الواهنة، فلم يدع القرآن الكريم باباً لتقوية الروح المعنوية لدى المسلمين إلّا سلكه، فيؤكد لهم مراراً أنّ الله سبحانه وتعالى معهم، وأنّه وعد من ينصره بالنصر المؤزر، وقد سجّل القرآن الكريم الكثير من المعارك التي دارت بين المسلمين وخصومهم، بطريقته المصورة المؤثرة المتغلغلة في أعماق النفوس، ونعرض في هذا المطلب لصورتين:

الصورة الأولى: حين يسجل لنا القرآن الكريم معركة المسلمين؛ لنصرة بني خزاعة الذين كانوا في حلف مع النبي(ﷺ) [٥]، بقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ

---

(١) – ينظر: مفاتيح الغيب(١٨/ ٥١٤)

(٢) – ينظر: المصدر السابق(١٨/ ٥١٤)، ونظم الدرر(٤/٩٩).

(٣) – سورة يوسف/ الآية٦.

(٤) – ينظر: في ظلال القرآن (٤/٢٠٢٩).

(٥) – ينظر: من بلاغة القرآن: أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي(ت: ١٣٨٤هـ)، ص(٢٤٢)، ونظرات في كتاب الله، حسن أحمد عبد الرحمن محمد البنا الساعاتي (ت: ١٣٦٨هـ)، (ص:٢٥٠)

قُلُوبِهِمۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[١]. وذلك أن بني كعب قاتلوا: خزاعة، فهزموهم وقتلوا منهم كثيراً، وخزاعة هم صلح الرسول (ﷺ)، وأعانوهم كفار مكة بالسلاح والمؤونة على خزاعة، فاستحل النبي(ﷺ) قتال كفار مكة بذلك، فسار رسول الله (ﷺ) إلى مكة ففتحها وشفى الله قلوب خزاعة من بني ليث بن بكر، وفي الآية دلالة على صدق نبوة النبي(ﷺ)؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى قد وعد المؤمنين على لسان النبيّ (ﷺ) أن يعذب الكفار بأيديهم ويخزهم وينصر المؤمنين عليهم، فأنجز وعده ولم يظهر خلاف ما وعد لهم[٢].

أمّا اللمسة البيانية لختم هذه الآيات الكريمة بقوله تعالى: (وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)؛ فالواو استئنافية ويتوب جملة مستأنفة فبهذا قطع السياقُ الحكمَ السابق، الذي كان الحكم فيه القتل للمشركين. واستأنف كلاماً جديداً، وإنْ كان معطوفاً على ما قبله في اللفظ، وهذا مظهر من مظاهر الدقة في الأداء القرآني، ومَلْحَظ لرحمة الله سبحانه وتعالى حتى مع الكفار، فقال تعالى: {وَيَتُوبُ} هكذا بالرفع، لا بالجزم فقطع الفعل (يتوب) عما قبله؛ لأنّ الله تعالى لم يشأ أن يشرِّك بينهم حتى في جواب الأمر، أي لم يجعل القتل على الجميع. لكن لماذا يتوب الله على هؤلاء الكفار ويرحمهم، وهم أعداء دينه وأعداء رسوله، وقد قتلوا أو ساعدوا بقتل من هو بحلف المسلمين؟ وذلك لأنّ الله سبحانه وتعالى ربهم وخالقهم، وهم عباده وعياله، وهو أرحم بهم، ومراد الله في الخَلْق أن يكونوا جميعاً طائعين[٣].

أمّا التذييل بصفتي (العليم، الحكيم)؛ فذلك لإفادة أنّ الله يعامل الناس بما يعلم من نياتهم، وأنّه حكيم لا يأمر إلا بما فيه تحقيق الحكمة، فوجب على الناس امتثال أوامره، وأنّه يقبل توبة من تاب إليه تكثيراً للصلاح[٤]، وناسب تقديم (العليم) على(الحكيم)؛ لأنّ مبنى الأحكام كلها على إحاطة العلم هنا، فإن الله علم أنّ هناك نفوساً تريد التوبة، فشرعها لهم، ثمّ بعد ذلك تأتي الحكمة في تنزيل العلم على الامر الواقع بما يحقق التوافق والانسجام بين الأحكام الشرعية والطبائع البشرية، وذلك ما يميز الشريعة الإسلامية عن غيرها من الدساتير، والشرائع الوضعية[٥].

---

(١) – سورة التوبة/ الآيات ١٤، ١٥.

(٢) – ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: لمقاتل بن سليمان بن بشير البلخي(ت: ١٥٠هـ)،(١٦١/٢)، والكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي(ت: ٤٢٧هـ)،(١٦/٥).

(٣) – ينظر: تفسير الشعراوي(٩٨٥٠/١٦).

(٤) – ينظر: التحرير والتنوير(١٣٧/١٠).

(٥) – ينظر: ولله الأسماء الحسنى، ص(٣٠٤).

والصورة الثانية: في نهي الله سبحانه وتعالى، عن الضعف في القتال؛ وذلك بذكر المقارنة بين حال المؤمن والكافر بقوله :﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[1]. فإنّ النهي عن الضعف في القتال إنّما كان لأنّ الألم والمشقة التي تحصل في الحروب مشترك بين الفريقين، المؤمن والكافر، قال تعالى: {إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ }؛ لكن المؤمن يمتاز بأنّ له، إحدى الحسنيين: إمّا النصر وإمّا الشهادة، وهو المراد بقوله تعالى: {وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ}، وفي كلاهما الجنة والثواب، فأنتم أولى بالجهاد منهم وأشد رغبة فيه وفي إقامة كلمة الله وإعلائها[2].

والمعنى التعبيري من ختم هذه الآية الكريمة، بقوله تعالى:{وَكانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً}، أي أنّ الله لا يكلفكم إلّا ما يعلم أنّه سببٌ لصلاح دينكم ودنياكم، فهو العليم بكم. وهذا بيّن؛ فإنّ المؤمن إذا تقاعس عن الجهاد، ووهن وضعف أمام الأعداء؛ فإنّ هذا سوف يؤدي إلى خسارة الدنيا والآخرة، وأمّا ذكر (الحكيم)، بعد قوله : (العليم)، فالمراد بالحكيم : أي أنّه العالم بعواقب الأمور، الذي يختار لعباده ما هو أصلح لهم، والذي يعلم بأنّ أمره بيد (العليم الحكيم) سوف يطمئن وتقوى همته، فلا يضعف بعد ذلك، وفي هذا تشجيع للمؤمنين على مواصلة الجهاد، لأنّ علمهم بأن الله تعالى عليم بأحوالهم والظروف الملابسة لهم، وحكيم في شرعه بالأمر والنهي لهم يطمئنهم على حسن العافية لهم بالنصر على أعدائهم.[3].

قال الشعراوي:(إنّه عليم بكل ما يصيب المؤمن من ألم، فلا تعتقد أيها المؤمن أنّ لك أجراً سيضيع منك؛ فالشوكة التي تشاك بها في القتال محسوبة لك، وهو سبحانه حين يتركك تتألم أمام الكافر كما يتألم؛ فذلك لحكمة هي أن تسير إلى القتال وأنت واثق من قدرة إيمانك على تحمل تبعات هذا الدين)[4] .

---

(١) – سورة النساء/ الآية ١٠٤.

(٢) – ينظر: تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير(ت٧٧٤هـ)، (٢٥٨/٤)، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: لأبي السعود العمادي محمد(ت: ٩٨٢هـ)،(٢٢٨/٢).

(٣) – ينظر: تفسير اللباب: لأبي حفص عمر بن على ابن عادل الدمشقي الحنبلي(ت: ٨٨٠ هـ)، (١٥٩٥/١)، وأيسر التفاسير: جابر بن موسى بن عبد القادر أبو بكر الجزائري (١/ ٥٣٥) .

(٤) – تفسير الشعراوي(٥/ ٢٦٠٢)

المطلب الثاني: تحريم دخول المسجد الحرام على المشركين.

إنّ المتأمل لهذه الآية الكريمة وما فيها من عزة وقوة للمسلمين، بحيث أنّ المسلمين الذين كانوا ضعفاء في مكة وهُجِّروا منها ومنعوا من دخولها بعد ذلك كله؛ أصبحوا بهذه القوة التي تؤهلهم لمنع المشركين من دخول مكة، وهذا بعد فتح مكة، فإنّ الله لا يكلف المسلمين بهذا التكليف، إلا وهو يعلم أنّهم يطيقونه، ويستطيعون منع المشركين من دخول مكة، فإن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها: لهذا ابتدأت الآية الكريمة بذكر علة النهي قبل النهي، بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[1]. فالمشركون أنجاس فاسدو الاعتقاد يشركون بالله، ويعبدون الأوثان والأصنام، ويدينون بالخرافات والأوهام، ويأكلون الدم والميتة؛ وهي أقذار حسية، ويستحلون القمار والزنا، ويستبيحون الأشهر الحرم وهي أرجاس معنوية، من أجل هذا كله لا تمكنوهم بعد هذا العام، وهو عام التاسع للهجرة، مِن أن يدخلوا المسجد الحرام بدخول أرض الحرم، أو دخول البيت نفسه، وطوافهم فيه عراة يشركون بالله (عز وجل) في التلبية، وإذا صلّوا لم تكن صلاتهم إلّا مكاء وتصدية[2]،{وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً } أي وان خفتم من الفقر؛ بسبب منع المشركين عن الحج والعمرة، وما كان في قدومهم من الأرفاق والمكاسب {فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ } أي فسوف يعوض الله عليكم بما يغنيكم من فضله. وقد أنجز الله سبحانه وتعالى ما وعد به عباده المسلمين، فقد أغنى الله تعالى أهل مكة ومن حولهم بالخراج والجزية، وإسلام أهل اليمن، وكان ذلك عقب عام الفتح، فجاءهم الحجيج بأرفاقهم، مسلمين غير مشركين، مع ما عندهم من خير، وأرسل الله عليهم السماء مدراراً، فأنبت الزرع، وأدرت الضرع، وأثمر الشجر، واتاهم الخير[3].

والتعبير الجميل بقوله تعالى: {مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ } فَذِكْر الفضل منسوباً إلى الله تعالى فيه إشارة إلى أنّهم لَا يرزقونكم بل الرزاق ذو القوة المتين هو الله الذي يرزقكم من فضله إن شاء، وقوله {إن شاء} استثناء منه تعالى حتى تبقى قلوب المؤمنين متعلقة به سبحانه وتعالى راجية خائفة غير مطمئنة غافلة، فهو إن شاء رزقكم، وإن لم يشأ فمن

(١) – سورة التوبة/ الآية ٢٨.

(٢) – ينظر: تفسير المراغي(١٠/ ٨٩)، وتفسير المنار: محمد رشيد (ت: ١٣٥٤هـ)، (٢٤٣/١٠).

(٣) – ينظر: زهرة التفاسير(٧٥/٢٢/٦).

ذا الـذي يـرزقكم، وكونـه تعـالى {عليمـاً حكيمـاً} يرشـح المعنـى المـذكور فـإن ذا العلـم والحكمـة لا يضـع شـيئاً إلا فـي موضـعه فـلا بـد لمـن أراد رحمـة الله أو فضـل الله أن يجتهـد أن يكـون أهـلاً لـذلك، بالإيمـان والطاعـة العامـة والخاصـة، ولـذا فـإنّ خـتم الآيـة الكريمـة بالجملـة الاسـمية، بقولـه تعـالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، وبـ (إنَّ)، يفيـد التأكيـد. وبتصـدير الكـلام بلفـظ الجلالـة (الله) الـذي تتصـف ذاتـه الكريمـة بـه بكـل كمـال وعظمـة وجلال، وفي هذا التصدير دلالة على صدق ما وعد[1].

واللمسـة البيانيـة بتـذييل الآيـة الكريمـة بهـاذين الوصـفين الجليلين(علـيم حكـيم)، فهـو تعليـل؛ لقولـه تعـالى: {وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ} أي أن الله يغنـيكم؛ لأنّـه يعلـم أنكـم سـوف تحتـاجون إلـى المؤونـة والأرزاق بسـبب منـع المشـركين مـن دخـول مكـة، فهـو يـرزقكم لعلمـه بـذلك، و(حكـيم) أي أنّ فعلـه ذلـك هـو عـين الصـواب والحكمـة؛ فلمّـا مـنعكم مـن تمكيـنهم مـن الحـج لـم يكـن تاركاً منفعتكم فقدّر غناكم عنهم بوسائل أخرى علمها وأحكم تدبيرها[2].

المطلب الثالث: تحذير الأسرى من الخيانة.

هـذه الآيـات الكريمـة متصـلة بمـا قبلهـا فهـي جـاءت لبيـان الأحكـام الحربيـة بمناسـبة غـزوة بـدر، ولتبيـان حكـم آخـر مهـم مـن أحكـام الجهـاد فـي حـق النبـي (ﷺ)، ألا وهـو حكـم الأسـرى فـي مبـدأ قيـام الدولـة الإسـلامية، فبعـد أن أخـذ النبـي (ﷺ) الفـداء مـن الأسـرى، وشـق علـيهم أخـذ أمـوالهم مـنهم، نـزل قولـه تعـالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٧١ ﴾[3] . فالخطـــــــاب هنـا مـع حضـرة النبـي (ﷺ) بـأنّ يقـول للـذين فـي أيـدي المسـلمين مـن الأسـرى الـذين دفعـوا الفـداء، يقـول لهـم: إن كـان الله تعـالى يعلـم أنّ فـي قلـوبكم الآن إيمانـاً، أو سـيظهر فـي حينـه، كمـا يـدّعى بعضـكم، يعطكـم إذ تُسْـلمون مـا هـو خيـر لكـم ممـا أخـذه المؤمنـون مـنكم مـن الفـداء، ويغفـر لكـم مـا كـان مـن الشـرك ومـا اسـتتبعه مـن السـيئات والأوزار. وإن يريـدوا خيانتـك بـالكفر، وقتـال المسـلمين، فـلا تخـف مـن خيـانتهم؛ لأنّهـم قـد خـانوا الله مـن

(١) – ينظر: التحرير والتنوير (١٠/ ١٦٢)، وأيسر التفاسير(٢/٣٥٦)،

(٢) – ينظر: التحرير والتنوير(١٠/ ١٦٢).

(٣) – الأنفال/ الآيات٧٠، ٧١ .

قبل، فنقضوا الميثاق الذي أخذه على البشر، وبما آتاهم الله من العقل الذي يتدبرون به سنن الله في الكون، فمكنك منهم بنصرك عليهم ببدر[١].

والمعنى التعبيري بتذييل:(وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)، في نهاية هذه الآيات، هو بأنّ الله عليم بما ينونه في قلوبهم، سواء كان من الصدق بالإسلام، أو الخيانة، والارتداد عنه ومقاتلة المسلمين. حكيم في معاملتهم على حسب ما يعلم منهم، ويفعل ما يفعل بحسب ما تقتضيه حكمته الجليلة، من نصر المؤمنين وخذل الكافرين[٢]. ومن علمه وحكمته أنّ شرع لنا هذه الأحكام الجميلة الجليلة، وقد تكفل بكفاية، شأن الأسرى؛ وشرهم إن أرادوا الخيانة[٣].

المطلب الرابع: إنزال الطمأنينة على المؤمنين يوم الحديبية.

نزلت هذه السورة الكريمة (سورة الفتح)، بعد صلح الحديبة مباشرة؛ وفي شأنها، لتزف إلى المؤمنين هذه البشرى العظيمة بالفتح والنصر الذي أعز اللّه به نبيه والمؤمنين معه، بهذا الصلح، وكيف أنّ الله قد مّنّ على المؤمنين يوم الحديبية بالسكينة والطمأنينة، وزيادة الإيمان مع البشارة بالمغفرة والثواب وعون السماء بجنود الله، بقوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ ﴾[٤]، إنّ المقصود هو إنزال السكينة في قلوب المؤمنين «أهل الحديبية» حينما بايعوا النبي (ﷺ) على الحرب مع أهل مكة، بعد أن حصل لهم ما أزعج نفوسهم وحيّر قلوبهم، من صد المشركين لهم عن دخول المسجد الحرام، ورجوع الصحابة (رضي الله عنهم) دون بلوغ المقصود، فلم يرتد منهم أحدٌ عن الإيمان، بعد أن اضطرب الناس وماجوا، وزلزلوا؛ حتى جاء عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إلى الرسول (ﷺ)، وقال: أنت رسول الله حقاً؟ قال: بلى، قال ألسنا على الحق، وعدوُّنا على الباطل؟ قال بلى، قال: فلم نعط الدنيَّة في ديننا إذن؟ قال إني رسول الله وليست أعصيه وهو ناصري. فالصحابة(رضي الله عنهم) لمّا رأوا تلك الشروط القاسية التي ظاهرها أنّها غضاضة عليهم، وحط من أقدارهم، وهذا لا تكاد تصبر عليها النفوس؛ فلما صبروا عليها وهدأت أنفسهم لها، ازدادوا بذلك إيماناً مع إيمانهم، (وَلِلَّهِ

---

(١) – ينظر: الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل: محمود بن عمرو ، الزمخشري(ت: ٥٣٨هـ)، (٢٢٧/٢)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل: عبد الله بن عمر البيضاوي(ت: ٦٨٥هـ)،(٦٨/٣).

(٢) – ينظر: التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب(ت: بعد ١٣٩٠هـ)، (٦٨٢/٥).

(٣) – ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٣٢٧/١).

(٤) – سورة الفتح/الآية ٤.

﴿جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ جميعها، ومنها السكينة ، يدبرهم بعجيب تدبيره ولطيف صنعه؛ فلو شاء الله تعالى لنصر المؤمنين الآن بالفعل، ودمر أعدائهم بالجنود أو بغير سبب؛ لكنه فعل ذلك، رحمة منه؛ ليكون النصر بكم ، فيعظم أجركم ويعلوا أمركم، ويظهر الصادق في نصره من الكاذب ، فإن الدنيا دار البلاء ، وبناء المسببات على الأسباب على هو وجه الحكمة[١].

وعن ورود صفتي ﴿عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ في هذه الآية، وتناسبها مع السياق العام، فالأمر جليٌ وواضح، فبالعلم والحكمة: «أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ» ليحقق لهم ما قدّره من فوز ونعيم: والمعنى: أي أنّه عليم بأسباب الفتح والنصر، فإن فتح مكة كان من نتائج هذا الصلح، لكن الصحابة؛ لأنهم لا يعلمون ذلك عدوه خسارة لهم، (وعليم) بما تطمئن به قلوبهم بعد البلبلة والاضطراب، وأنّه (حكيم) يضع مقتضيات علمه في مواضعها المناسبة وأوقاتها الملائمة لها[٢].

فلمّا ذكر أمر القلوب بقوله {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ }، والإيمان من أعمال القلوب، ذكر (العليم) بعد ذلك إشارة إلى أنّه يعلم السر وأخفى، وقوله (حكيماً) بعد قوله (عليماً)، إشارة إلى أنّه يفعل على وفق العلم؛ فإن الحكيم من يعمل شيئاً متقناً ويعلمه[٣].

وللبقاعي لفته جميلة في بيان مناسبة ختم هذه الآية بصفتي(العليم الحكيم) فيقول: (ولمّا كان مبنى ما مضى كله على قدرة الله بالأمور الخفية، التي يظهر منها من الضعف للمسلمين، غير ما يكشف عنه الزمان من القوة ، فتمام القدرة متوقفاً على شمول العلم، فـ(كان الله) أي الملك الأعظم أزلاً وأبداً (عليماً) بالذوات والمعاني. (حكيماً) في إتقان ما يصنعن؛ فرد الله تعالى للمسلمين عن هذه العمرة بعد أن تمّ الصلح؛ ليأمن الناس فيداخل بعضهم بعضاً؛ لِما علم تعالى من أنّه لا يسمع القرآن الكريم أحد له عقل ولب، إلا وبادر إلى المتابعة ودخل في الدين برغبة وقناعة، فأدخل سبحانه وتعالى خزاعة في صلح النبي (ﷺ) وبني بكر وهم أعداؤهم في صلح قريش؛ ليبغوا عليهم فتعينهم قريش؛ فيبطل الصلح بعد أن كثرت جنود الله، وعز ناصر

(١) – ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية (ت: ٥٤٢هـ)،(١٢٥/٥) ، والبحر المحيط في التفسير: لأبي حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)،(٤٨٢/٩)، ونظم الدرر (١٨٩/٧).

(٢) – ينظر: في ظلال القرآن (٦/ ٣٣١٩)، والتحرير والتنوير (٢٦/ ١٥١).

(٣) – ينظر: مفاتيح الغيب(٦٨/٢٨).

الدين، فيفتح الله مكة المشرفة بهم، ويدخل الناس في الدين أفواجاً، فظهر دين الإسلام على جميع الأديان)[1] .

الخاتمة

بعد هذا التجوال بين آيات القرآن الكريم الخاصة باقتران صفتي (العليم الحكيم)، في القصص القرآنية والمغازي، وما فيها من جماليات التعبير القرآني، فقد قضيت وقتاً ممتعا وجميلاً بين رحاب هذه الآيات، فهذا هو جهدي وطاقتي فإنْ وُفقتُ فبفضل الله وتوفيقه، وإن كانت الأخرى فيكفيني معايشتي لكتاب الله تعالى. وقد خرجت بنتائج وتوصيات، أُجملها بما يأتي:

١- إنّ الدراسة التعبيرية للقرآن الكريم، تعد من أهم الدراسات القرآنية الإعجازية وأشملها، لأنهّا هي المقصودة بالتحدي والإعجاز للعرب أوّلاً؛ ولأنّها تشمل القرآن الكريم كله، حتى أنّ كل لفظة او حرف أو حركة فيها قصدٌ ومعنى، بخلاف الوجوه الأخرى من الإعجاز فليس الأمر فيها كذلك، فأنباء الغيب مثلا ليست موجودة في كل آية من القرآن ، وكذلك الإعجاز العلمي والتشريعي، ومن هنا كان الإعجاز البياني أهم هذه الوجوه وأعمها.

٢- قد بلغ القرآن الكريم الذروة في وضع الكلمات في الموضع الذي تستحقه في التعبير مع تناسبها مع السياق العام، فنرى التعبير متناسقاً متسقاً مع غيره من التعبيرات، كأنه لوحة فنية واحدة، وهو ما تذوقته في بحثي هذا، فختم الآيات الشريفة، بصفتي(العليم الحكيم)، وتقديم أحداهما على الأخرى، كل ذلك مراعى فيه سياق الكلام، والاتساق العام في التعبير على أكمل وجه وأبهى صورة ، وهو ما بينته في البحث.

٣- ورد اسم الله (العليم) مفرداً في القرآن الكريم في مئة وسبعة وخمسين موضعاً، وورد اسم الله (الحكيم) مفرداً في واحد وتسعين موضعاً، واقترن اسمه (الحكيم) باسمه سبحانه (العليم) في سبعة وثلاثين موضعاً، وقد تقدم(العليم الحكيم) أولاً في تسعا وعشرين مرة، وأتى (الحكيم العليم) أولاً سبع مرات، وذلك وفق مقتضى سياق الآية، يتقدم العلم على الحكم، أو الحكمة على العلم.

٤- إنّ معنى العلم: هو اليقين، أو المعرفة، وهو نقيض، الجهل. وأمّا معنى الحكمة: فهو المنع، تقول حكمة الدابة: أي منعتها، والحكيم: هو المتقن للأمور، والحكمة: مرجعها إلى العدل والعلم والحلم.

---

(١) – نظم الدرر :(١٨٩/٧).

٥- أنّ معنى العلم في حق الله (جل جلاله)، هو إنّ الله عليم من غير تعليم، بجميع ما قد كان وما هو كائن، والعالِم للغيوب دون جميع خلقه. أمّا معنى الحكمة في حق الله(جل جلاله) فمعناها: الذي لا يقول ولا يفعل إلّا الصواب.

٦- إنّ الآيات التي اقترن بها صفتي العلم والحكمة المتعلقة بالله تعالى في قصص الأنبياء، هي ست آيات، في ثلاث سور، وهي سورة البقرة، ويوسف والذاريات، أمّا الأنبياء فهم (آدم، وإبراهيم، ويوسف (عليهم الصلاة وأزكى السلام)) .

٧- أمّا الآيات التي اقترن بها صفتي العلم والحكمة المتعلقة بالله تعالى في المغازي، فهي خمس آيات، في أربع سور وهي (النساء، والتوبة، والانفال، والفتح)، وكانت مواضيعها تتحدث عن: (استعمال أسلوب التهييج والإثارة للجهاد)، و(تحريم دخول المسجد الحرام على المشركين)، و(تحذير الأسرى من الخيانة)، و(إنزال الطمأنينة على المؤمنين يوم الحديبية).

٨- برزت لدي خلال هذه الدراسة المتواضعة، أهمية البحث والعناية بأسماء الله الحسنى المذكورة في القرآن الكريم، وما لها من فوائد لا تعد ولا تحصى، فمنها أنّها تزرع في القلب الأدب مع الله (سبحانه وتعالى) والحياء منه، وأنّها تُبصّر العبد بنقائص نفسه وعيوبها.

٩- أقترح على طلاب العلم الشرعي زيادة العناية والاهتمام، بهذه الأسماء والصفات الجليلة، لِما لها من أثر بالغ على أعمال القلوب والأخلاق والسلوك، من خلال تكثيف الدراسات الخاصة بها، وأرشد طلبة العلم إلى مصدر مفيد ومهم لمَن يريد أن يبحث هذه الأسماء والصفات في القرآن الكريم وهو كتاب :(كلمات في ما اقترن من الأسماء الحسنى في كتاب الله) للدكتور: أمير علي الحداد، فقد عمل جرداً مفيداً ونافعاً لمن يريد الإفادة منه.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي(ت: ٩٧٧هـ)، مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهر، ١٢٨٥ هـ .

٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: لأبي السعود محمد بن محمد العمادي (ت: ٩٥١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

٣- الأسماء والصفات للبيهقي: أحمد بن الحسين بن علي البيهقي(ت: ٤٥٨هـ)،حققه: عبد الله بن محمد الحاشدي قدم له: مقبل بن هادي الوادعي، مكتبة السوادي، جدة – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٣ هـ.

٤- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي(ت: ٦٨٥هـ)، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١- ١٤١٨ هـ ز

٥- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط٥ ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م .

٦- البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي(ت:٧٤٥هـ)، تح: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض، د. زكريا عبد المجيد النوقي- د.أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ .

٧- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الصوفي (ت: ١٢٢٤هـ)، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، ١٤١٩ هـ

٨- تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (ت:١٢٠٥هـ)، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٩- التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي(ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ .

١٠- تراث أبي الحسن في التفسير: أَبو الحسن عليُّ بن أحمد التُّجِيْبِيُّ (ت: ٦٣٨هـ)، تح: محمادي بن عبد السلام الخياطي، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي – الرباط، ط١، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧

١١- تفسير ابن عرفة: محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي(ت: ٨٠٣هـ)، تح: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٨ م .

١٢- تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧ م .

١٣- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م .

١٤- التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب(ت: بعد ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي – القاهرة .

١٥- تفسير اللباب: أبو حفص عمر بن على ابن عادل الحنبلي(ت: ٨٨٠ هـ)، دار الكتب العلمية . بيروت.

١٦- تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م .

١٧- تفسير المنار: محمد رشيد بن علي رضا القلموني الحسيني(ت: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م .

١٨- التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي (شيخ الأزهر) ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط١، ج٧، يناير ١٩٩٨.

١٩- تفسير مقاتل بن سليمان: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت:١٥٠هـ)، تح: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت، ط١، ١٤٢٣ هـ .

٢٠- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م .

٢١- جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الاملي الطبري(ت٣١٠هـ)، تح: احمد محمد شاكر، طبع مؤسسة الرسالة ، ط١، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م .

٢٢- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي (ت: ٦٧١ هـ)، تح: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م .

٢٣- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي(ت: ١٣٦٢هـ)، د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت

٢٤- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي(ت: ١٢٧٠هـ)، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ .

٢٥- الزهد والرقائق : لأبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك الحنظلي(ت: ١٨١هـ)، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٦- الزهد: لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني(ت: ٢٤١هـ)، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م .

٢٧- زهرة التفاسير: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ)، دار النشر: دار الفكر العربي .

٢٨- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣ هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت– لبنان، ط٤، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

٢٩- العذب النَّمير من مجالس الشَّنقيطِيّ في التَّفْسير: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي(ت: ١٣٩٣هـ)، تح: خالد بن عثمان السبت، إشراف: بكر بن عبد الله ، دار عالم الفوائد للنشر ، مكة المكرمة، ط٢، ١٤٢٦هـ .

٣٠- فتحُ البيان في مقاصد القرآن: لأبي الطيب محمد صديق خان بن لطف الله البخاري القِنَّوجي(ت: ١٣٠٧هـ)،عني به: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة ، صَيدَا – بَيروت، ١٤١٢ هـ .

Sources and References

The Holy Quran

1. The Enlightening Lamp in Helping to Know Some of the Meanings of the Words of our Lord, the Wise and the Expert: Shams Al-Din, Muhammad bin Ahmad Al-Khatib Al-Sherbini Al-Shafi'i (T .: 977 AH), Bulaq (Amiriya) Press - Al-Qaher, 1285 AH.
2. Guiding a Sound Mind to the Merits of the Noble Qur'an: by Abu Al-Saud Muhammad bin Muhammad Al-Emadi (T .: 951 AH), House of Revival of Arab Heritage, Beirut.
3. Names and Attributes of Al-Bayhaqi: Ahmed bin Al-Hussein bin Ali Al-Bayhaqi (d .: 458 AH), Verified by: Abdullah bin Muhammad Al-Hashadi Presented to him by: Muqbel bin Hadi Al-Wadaei, Al-Sawadi Library, Jeddah - Kingdom of Saudi Arabia, 1st ed.
4. Anwar Al-Tanzil and the Secrets of Interpretation: Nasir Al-Din Abu Saeed Abdullah bin Omar bin Muhammad Al-Baidawi (d .: 685 AH), Chant: Muhammad Abdul Rahman Al-Mara'ashli, House of Revival of Arab Heritage - Beirut, 1-1418 AH
5. The Easiest Interpretations of the Words of the Great Most High: Jabir bin Musa bin Abdul Qadir bin Jaber Abu Bakr Al-Jazaery, Science and Governance Library, Medina, Kingdom of Saudi Arabia, 5th Edition, 1424 AH / 2003 AD.
6. The Surrounding sea: Muhammad bin Yusuf, known as Abu Hayyan Al-Andalusi (d .: 745 AH), Verifiedtion: Adel Ahmed Abd Al-Mawjid - Ali Muhammad Muawad, d. Zakaria Abdel-Majid Al-Naqi - Dr. Ahmed Al-Najouli Al-Jamal, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, 1422 AH.
7. The Long Sea in the Interpretation of the Glorious Qur'an: Abu Al-Abbas Ahmad bin Muhammad bin Al-Mahdi bin Ajaybah Al-Hasani Al-Sufi (d .: 1224 AH), Verifiedtion: Ahmad Abdullah Al-Qurashi Raslan, Dr. Hassan Abbas Zaki - Cairo, 1419 AH
8. Crown of the Bride, one of the Jewels of the Dictionary: Muhammad bin Muhammad bin Abdul Razzaq Al-Husseini, nicknamed Mortada Al-Zubaidi (T .: 1205 AH), U: A group of Investigators, Dar Al-Hidaya.
9. Editing and Enlightenment: Muhammad Al-Taher bin Muhammad bin Muhammad Al-Tahir bin Ashour Al-Tunisi (T .: 1393 AH), Tunisian Publishing House, Tunis, 1984 AH.
10. The Legacy of Abi Al-Hassan in Interpretation: Abu Al-Hassan Ali bin Ahmed Al-Tujibi (d .: 638 AH), under: Muhammadi bin Abdul Salam Al-Khayati, Publications of the University Center for Scientific Research - Rabat, 1st Edition, 1418 AH - 1997
11. Interpretation of Ibn Arafa: Muhammad bin Muhammad ibn Arafa Al-Wurghmi Al-Tunisi Al-Maliki (d .: 803 AH), translated by Jalal Al-Asyuti, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon, 1st Edition, 2008 AD
12. Tafsir Al-Shaarawi: Muhammad Metwally Al-Shaarawi (T .: 1418 AH), Akhbar Al-Youm Press, 1997 AD.
13. Interpretation of the Great Qur'an, by Abu Al-Fida 'Ismail bin Omar bin Kathir Al-Qurashi Al-Dimashqi (d. 774 AH), Verifiedtion: Sami bin Muhammad Salama, Dar Taibah for Publishing and Distribution, Edition 2, 1420 AH - 1999 AD.
14. The Qur'anic Interpretation of the Qur'an: Abd Al-Karim Yunis Al-Khatib (d .: after 1390 AH), Arab Thought House - Cairo.
15. Interpretation of the Pulp: Abu Hafs Omar bin Ali Ibn Adel Al-Hanbali (d .: 880 AH), Dar Al-Kutub Al-Ulmiah - Beirut.

16. Tafsir Al-Maraghi: Ahmed bin Mustafa Al-Maraghi (d .: 1371 AH), Mustafa Al-Babi Al-Halabi and Sons Library and Printing Company in Egypt, 1st Edition, 1365 AH - 1946 AD.
17. Interpretation of Al-Manar: Muhammad Rashid bin Ali Reda Al-Qalamouni Al-Husseini (d .: 1354 AH), Egyptian General Book Organization, 1990 AD.
18. Interpretation of the Mediator of the Noble Qur'an: Muhammad Sayed Tantawi (Sheikh of Al-Azhar), Nahdet Misr House for Printing, Publishing and Distribution, Faggala - Cairo, 1st Edition, C7, January 1998.
19. Interpretation of Muqattal Bin Sulaiman: Abu Al-Hassan Muqatil Bin Sulaiman Bin Bashir Al-Azdi Al-Balkhi (d .: 150 AH), Verified by Abdullah Mahmoud Shehata, House of Revival of Heritage - Beirut, 1st Edition, 1423 AH.
20. Facilitating Al-Karim Al-Rahman in the interpretation of the words of Al-Manan: Abd Al-Rahman bin Nasir bin Abdullah Al-Saadi (d .: 1376 AH), Verifiedtion: Abd Al-Rahman bin Mualla Al-Luhaq, Foundation for the Message, 1st ed., 1420 AH-2000 AD.
21. Jami Al-Bayan fi Ta'wil Al-Qur'an, by Abu Ja`far Muhammad bin Jarir bin Yazid bin Katheer bin Ghaleb Al-Amali Al-Tabari (d. 310 AH), Verified by Ahmad Muhammad Shaker, published by Al-Risalah Foundation, 1st Edition, 1420 AH - 2000 AD.
22. Al-Jami 'Al-Ahkam Al-Qur'an: Abu Abdullah Muhammad bin Ahmad bin Abi Bakr bin Farah Al-Qurtubi (d .: 671 AH), Verified by: Hisham Samir Al-Bukhari, House of the World of Books, Riyadh, Saudi Arabia, 1423 AH / 2003 CE.
23. Jawaher Al-Balaghah in Meanings, Al-Bayan and the Badi ': Ahmed bin Ibrahim bin Mustafa Al-Hashimi (T .: 1362 AH), d. Youssef Al-Somaili, Modern Library, Beirut
24. The Spirit of Meanings in the Interpretation of the Great Qur'an and the Mathani Seven: Shihab Al-Din Mahmoud bin Abdullah Al-Husayni Al-Alusi (d .: 1270 AH), Verifiedtion: Ali Abd Al-Bari Attiyah, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut, 1st ed.
25. Asceticism and Kindnesses: by Abu Abd Al-Rahman Abdullah bin Al-Mubarak Al-Hanzali (d .: 181 AH).
26. Al-Zuhd: by Abu Abdullah Ahmad bin Muhammad bin Hanbal bin Hilal Al-Shaibani (d .: 241 AH). Footnotes are stated by: Muhammad Abd Al-Salam Shaheen, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon, 1st ed., 1420 AH - 1999 AD.
27. Zahrat Al-Tafseer: Muhammad bin Ahmed bin Mustafa bin Ahmed, known as Abu Zahra (T .: 1394 AH), publishing house: Dar Al Fikr Al Arabi.
28. Al-Sahhah Taj Al-Lugha and Sahih Al-Arabiya: Ismail bin Hammad Al-Gohary (d. 393 AH), VerifieD by: Ahmad Abd Al-Ghafoor Attar, House of Knowledge for the Millions, Beirut - Lebanon, 4th ed.
29. Al-Athb Al-Nimir from the Councils of Al-Shanqiti in Interpretation: Muhammad Al-Amin bin Muhammad Al-Mukhtar Al-Shanqeeti (t .: 1393 AH), Verifiedtion: Khalid bin Othman Al-Sabt, Supervised by: Bakr bin Abdullah, Dar Alam Al-Fawaid for Publishing, Makkah Al-Mukarramah, 2nd Edition, 1426 AH.
30. Fath Al-Bayan in the Intentions of the Qur'an: by Abu Al-Tayyib Muhammad Siddiq Khan bin Lotf Allah Al-Bukhari Al-Qanuji (d .: 1307 AH), Taken care by: Abdullah bin Ibrahim Al-Ansari, Modern Library of Printing, Sidon - Beirut, 1412 AH.